مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center for Studies and Planning

ورقة مترجمة

لماذا ينبغي لإيران أن تحصل على القنبلة النووية

التوازن النووي يعني الاستقرار

كينيث ن. والتز

يعد كينيث ن. والتز من أبرز المفكرين في مجال العلاقات الدولية، الذين ركزوا في كتاباتهم وبحوثهم على دور الأسلحة النووية في تحقيق الردع والإستقرار، وقد أكد والتز في هذا المقال على ضرورة امتلاك إيران للسلاح النووي من أجل تحقيق التوازن الأمني والعسكري في المنطقة، وكسر تفوق الكيان الصهيوني في هذين المجالين الذي طالما كان وما يزال مصدر للقلق وعدم الاستقرار في المنطقة. وعلى الرغم من أن المقال نشر عام 2012 إلا أن قواعد التوازن المطروحة فيه ما زالت نافذة وكأنه كتب مؤخراً للتعليق على الأحداث الجارية اليوم في الشرق الأوسط والآفاق المستقبلية المحتملة فيه.

لا ينبغي أن يحدث هذا. يُحذّر معظم المُعلّقين وصانعي السياسات الأمريكيين والأوروبيين "والإسرائيليين" من أن امتلاك إيران للسلاح النووي سيكون أسوأ نتيجة مُحتملة للمواجهة الحالية. في الواقع، من المُرجّح أن يكون هذا هو أفضل نتيجة مُمكنة: النتيجة الأنسب لإعادة الاستقرار إلى الشرق الأوسط.

القوة تحتاج إلى التوازن

يمكن أن تنتهي أزمة البرنامج النووي الإيراني بثلاث طرق مختلفة. أولاً، قد تُقنع الدبلوماسية، إلى جانب عقوبات صارمة، إيران بالتخلي عن سعيها لامتلاك سلاح نووي. لكن هذه النتيجة غير مرجحة: فالسجل التاريخي يُشير إلى أن أي دولة تُصر على امتلاك أسلحة نووية نادراً ما يُمكن ثنيها عن ذلك. إن معاقبة دولة ما من خلال عقوبات اقتصادية لا تُعيق برنامجها النووي حتماً. لنأخذ كوريا الشمالية مثالاً، فقد نجحت في بناء أسلحتها رغم جولات لا تُحصى من العقوبات وقرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. إذا قررت طهران أن أمنها يعتمد على امتلاك أسلحة نووية، فمن غير المرجح أن تُغير العقوبات رأيها. في الواقع، إن فرض المزيد من العقوبات الآن قد يُشعر إيران بمزيد من الضعف، مما يمنحها سبباً إضافياً للسعي إلى حماية الرادع النهائي.

النتيجة المحتملة الثانية هي أن تمتنع إيران عن اختبار سلاح نووي، بل تُطوّر قدرةً على تجاوز العقبة، أي القدرة على بناء واختبار سلاح نووي بسرعة كبيرة. لن تكون إيران أول دولة تمتلك برنامجاً نووياً متطوراً دون بناء قنبلة نووية فعلية، فاليابان، على سبيل المثال، تمتلك بنيةً تحتيةً نوويةً مدنيةً واسعة. ويعتقد الخبراء أنها قادرة على إنتاج سلاح نووي في وقت قصير.

قد تُلبي هذه القدرة على تجاوز العقبة الاحتياجات السياسية الداخلية لحكام إيران، من خلال طمأنة المتشددين بإمكانية تمتعهم بجميع مزايا امتلاك قنبلة نووية (مثل تعزيز الأمن) دون عواقب سلبية (مثل العزلة الدولية والإدانة). لكن المشكلة تكمن في أن هذه القدرة على تجاوز العقبة قد لا تُحقق الهدف المنشود.

الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون معنيون بالدرجة الأولى بالتسليح، لذا قد يقبلون سيناريو تمتنع فيه إيران عن امتلاك سلاح نووي. مع ذلك، أوضحت "إسرائيل" أنها تعتبر قدرة إيران الكبيرة على التخصيب في حد ذاتها تهديداً غير مقبول. لذا، من الممكن أن يُرضي التزامٌ مُتحققٌ من إيران بالامتناع عن امتلاك سلاح القوى الغربية الكبرى، ولكنه يُبقي "الإسرائيليين" غير راضين. ستكون "إسرائيل" أقل خوفاً من سلاح نووي محتمل مما ستكون عليه من سلاح نووي فعلي، وبالتالي ستواصل على الأرجح جهودها المحفوفة بالمخاطر لتدمير البرنامج النووي الإيراني من خلال التخريب والاغتيالات - مما قد يدفع إيران إلى استنتاج أن القدرة على تجاوز العقبة النووية ليست رادعاً كافياً، في نهاية المطاف، وأن التسلح وحده هو ما يوفر لها الأمن الذي تسعى إليه.

النتيجة الثالثة المحتملة للمواجهة هي أن تواصل إيران مسارها الحالي وتتجه علناً نحو امتلاك سلاح نووي من خلال اختباره. وقد أعلن المسؤولون الأمريكيون و"الإسرائيليون" أن هذه النتيجة غير مقبولة، مجادلين بأن إيران النووية تُمثل احتمالاً مرعباً للغاية، بل

تهديداً وجودياً. هذه اللغة نموذجية للقوى الكبرى، التي لطالما استشاطت غضباً كلما بدأت دولة أخرى بتطوير سلاح نووي خاص بها. ومع ذلك، حتى الآن، في كل مرة نجحت فيها دولة أخرى في الانضمام إلى النادي النووي، دأبت الدول الأخرى على تغيير مسارها والتعايش مع الوضع. في الواقع، من خلال تقليل اختلالات القوة العسكرية، تُسهم الدول النووية الجديدة عموماً في تعزيز الاستقرار الإقليمي والدولي، لا العكس.

لطالما غذّى احتكار "إسرائيل" النووي الإقليمي، الذي أثبت استمراريته اللافتة على مدى العقود الأربعة الماضية، حالة عدم الاستقرار في الشرق الأوسط. لا توجد في أي منطقة أخرى من العالم دولة نووية وحيدة بلا ضوابط. إن ترسانة "إسرائيل" النووية، وليس رغبة إيران في امتلاكها، هي التي ساهمت بشكل كبير في الأزمة الحالية. فالقوة، في نهاية المطاف، تحتاج إلى توازن. والمثير للدهشة في الحالة "الإسرائيلية" هو أن ظهور عامل توازن محتمل استغرق كل هذا الوقت.

بالطبع، من السهل فهم سبب رغبة "إسرائيل" في البقاء القوة النووية الوحيدة في المنطقة ولماذا هي على استعداد لاستخدام القوة لتأمين هذه المكانة. في عام 1981، قصفت "إسرائيل" العراق لمنع تحدي احتكارها النووي. وفعلت الشيء نفسه مع سوريا في عام 2007، وهي الآن تدرس اتخاذ إجراء مماثل ضد إيران. لكن الإجراءات ذاتها التي سمحت "لإسرائيل" بالحفاظ على تفوقها النووي على المدى القصير قد أطالت أمد اختلال التوازن الذي لا يمكن تحمله على المدى الطويل. إن قدرة "إسرائيل" المثبتة على ضرب المنافسين النوويين المحتملين دون عقاب قد جعلت أعداءها حريصين حتماً على تطوير الوسائل لمنع "إسرائيل" من القيام بذلك مرة أخرى. وبهذه الطريقة، يُنظر إلى التوترات الحالية على أنها ليست المراحل المبكرة لأزمة نووية إيرانية حديثة نسبياً، بل المراحل الأخيرة من أزمة نووية في الشرق الأوسط استمرت لعقود ولن تنتهي إلا باستعادة توازن القوى العسكرية.

مخاوف لا أساس لها

أحد أسباب المبالغة الفادحة في تقدير خطر إيران النووية هو أن النقاش الدائر حولها قد شوّهته مخاوف في غير محلها وسوء فهم جوهري لسلوك الدول عموماً في النظام الدولي. أول هذه المخاوف البارزة، والذي يُشكّل أساساً للعديد من المخاوف الأخرى، هو أن النظام الإيراني غير عقلاني بطبيعته. فرغم الاعتقاد السائد بعكس ذلك، فإن السياسة الإيرانية لا يصنعها «ملالي مجانين» بل آيات الله عاقلون تماماً يسعون للبقاء كغيرهم من القادة. ورغم أن قادة إيران ينغمسون في خطابات تحريضيّة، إلا أنهم لا يُظهرون أي ميل لتدمير أنفسهم. وسيكون من الخطأ الجسيم أن يفترض صانعو السياسات في الولايات المتحدة و"إسرائيل" خلاف ذلك.

وهذا تحديداً ما فعله العديد من المسؤولين والمحللين الأمريكيين و"الإسرائيليين". فتصوير إيران على أنها غير عقلانية سمح لهم بالقول إن منطق الردع النووي لا ينطبق على الجمهورية الإسلامية. وحذروا من أنه إذا امتلكت إيران سلاحاً نووياً، فلن تتردد في استخدامه في ضربة أولى ضد "إسرائيل"، حتى لو أدى ذلك إلى رد انتقامي واسع النطاق، وقد يُهدد بتدمير كل ما يُقدّره النظام الإيراني.

مع استحالة الجزم بنوايا إيران، إلا أن الأرجح بكثير أن رغبة إيران في امتلاك أسلحة نووية، إن وُجدت، إنما هي لضمان أمنها، لا لتحسين قدراتها الهجومية (أو تدمير نفسها). قد تكون إيران متصلبةً على طاولة المفاوضات ومتحديةً للعقوبات، لكنها مع ذلك تعمل على ضمان بقائها. على سبيل المثال، لم يحاول قادة إيران إغلاق مضيق هرمز رغم تحذيراتهم الشديدة باحتمال القيام بذلك بعد إعلان الاتحاد الأوروبي عن حظره النفطي المخطط له في يناير. وقد استنتج الإيرانيون بوضوح أنهم لا يريدون استفزاز رد فعل أمريكي سريع ومدمر على مثل هذه الخطوة.

ومع ذلك، حتى بعض المراقبين وصانعي السياسات الذين يقرون بأن النظام الإيراني عقلاني لا يزالون قلقين من أن السلاح النووي سيشجعه، مما يوفر لطهران درعاً يسمح لها بالتصرف بشكل أكثر عدوانية وزيادة دعمها للجماعات المسلحة. يخشى بعض المحللين حتى أن تزود إيران الجماعات المسلحة بالأسلحة النووية بشكل مباشر. تكمن مشكلة هذه المخاوف في أنها تتناقض مع سجل كل دولة أخرى تمتلك أسلحة نووية منذ عام 1945. يُظهر التاريخ أنه عندما تحصل الدول على القنبلة، فإنها تشعر بالضعف بشكل متزايد وتصبح مدركة تماماً أن أسلحتها النووية تجعلها هدفاً محتملاً في نظر القوى الكبرى. هذا الوعي يثني الدول النووية عن اتخاذ إجراءات جريئة وعدوانية. على سبيل المثال، أصبحت الصين الماوية أقل عدوانية بكثير بعد امتلاكها أسلحة نووية في عام 1964، وأصبحت كل من الهند وباكستان أكثر حذراً منذ امتلاكهما للأسلحة النووية. ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن إيران ستكسر هذا القالب.

أما فيما يتعلق بخطر تسليم الأسلحة للإرهابيين، فلا يمكن لأي دولة نقل الأسلحة النووية دون التعرض لخطر كبير باكتشاف أمرها. ستشكل قدرات المراقبة الأمريكية عائقاً خطيراً، وكذلك قدرة الولايات المتحدة الهائلة والمتنامية على تحديد مصدر المواد الانشطارية. علاوة على ذلك، لا يمكن للدول التحكم بشكل كامل في سلوك الجماعات المسلحة التي ترعاها، أو حتى التنبؤ به. بمجرد أن تمتلك دولة مثل إيران قدرة نووية، سيكون لديها كل الأسباب للحفاظ على سيطرتها الكاملة على ترسانتها. ففي النهاية، بناء قنبلة نووية مكلف وخطير، ومن غير المنطقي نقل نتاج هذا الاستثمار إلى جهات لا يمكن الوثوق بها أو إدارتها.

من المخاوف الشائعة أيضاً أنه إذا حصلت إيران على القنبلة، فإن دولاً أخرى في المنطقة ستحذو حذوها، مما سيؤدي إلى سباق تسلح نووي في الشرق الأوسط. لكن العصر

النووي يبلغ الآن ما يقرب من 70 عاماً، وحتى الآن، ثبت أن مخاوف الانتشار لا أساس لها. فمصطلح «الانتشار» بتعريفه الصحيح يعني انتشاراً سريعاً وغير منضبط. لم يحدث شيء من هذا القبيل؛ بل في الواقع، منذ عام 1970، كان هناك تباطؤ ملحوظ في ظهور الدول النووية. لا يوجد ما يدعو إلى توقع تغير هذا النمط الآن. إذا أصبحت إيران ثاني قوة نووية في الشرق الأوسط منذ عام 1945، فلن يكون ذلك مؤشراً على بداية انهيار نووي. عندما حصلت "إسرائيل" على القنبلة في ستينيات القرن الماضي، كانت في حالة حرب مع العديد من جيرانها. شكلت أسلحتها النووية تهديداً أكبر بكثير للعالم العربي مما يشكله برنامج إيران اليوم. إذا لم تكن "إسرائيل" النووية هي التي أطلقت سباق تسلح آنذاك، فلا يوجد سبب يدعو إيران النووية إلى ذلك الآن.

اطمئن، لا تشغل بالك

في عام 1991، وقّعت الهند وباكستان، الخصمان التاريخيان، معاهدةً تنصّ على عدم استهداف المنشآت النووية لبعضهما البعض. أدركتا أن الأمر الأكثر إثارةً للقلق من الردع النووي لخصمهما هو عدم الاستقرار الناتج عن التحديات التي تواجهه. ومنذ ذلك الحين، وحتى في مواجهة التوترات الشديدة والاستفزازات المحفوفة بالمخاطر، حافظت الدولتان على السلام. يُنصح "إسرائيل" وإيران بالنظر في هذه السابقة. فإذا امتلكت إيران سلاحاً نووياً، فسوف تردع كل منهما الأخرى، كما فعلت القوى النووية دائماً. لم يسبق أن اندلعت حرب شاملة بين دولتين نوويتين. بمجرد أن تتجاوز إيران العتبة النووية، سيُطبّق الردع، حتى لو كانت الترسانة الإيرانية صغيرة نسبياً. لن يكون لدى أي دولة أخرى في المنطقة حافزٌ لامتلاك قدراتها النووية الخاصة، وستتبدد الأزمة الحالية أخيراً، مما يؤدي إلى شرق أوسط أكثر استقراراً مما هو عليه اليوم.

لهذا السبب، لا تحتاج الولايات المتحدة وحلفاؤها إلى بذل كل هذا الجهد لمنع

الإيرانيين من تطوير سلاح نووي. ينبغي أن تستمر الدبلوماسية بين إيران والقوى الكبرى، لأن فتح قنوات الاتصال سيجعل الدول الغربية تشعر بقدرة أكبر على التعايش مع إيران نووية. مع ذلك، يمكن رفع العقوبات الحالية المفروضة على إيران: فهي تضر بالأساس بالمواطنين الإيرانيين العاديين، دون جدوى تُذكر.

الأهم من ذلك، ينبغي لصانعي السياسات والمواطنين في العالم العربي وأوروبا و"إسرائيل" والولايات المتحدة أن يطمئنوا إلى أن التاريخ يُظهر أنه حيثما تبرز القدرات النووية، يبرز الاستقرار أيضاً. وفيما يتعلق بالأسلحة النووية، فاليوم، كما هو الحال دائماً، قد يكون المزيد أفضل.

هوية البحث

اسم الباحث: كينيث ن. والتز - مجلة فورين افيرس

عنوان البحث: لماذا ينبغي لإيران أن تحصل على القنبلة النووية .. التوازن النووي يعني الاستقرار

تأريخ النشر: حزيران - يونيو 2025

رابط البحث:

https://www.foreignaffairs.com/articles/iran/2012-06-15/why-iran-should-get-bomb

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة، وغير ربحِيّة، أُسِّس سنة 2015م، وسُجِّل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

يحرص المركز للمساهمة في بناء الإنسان، بوصفه ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الأخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ويسعى المركز أيضاً للمشاركة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص والنهوض به، بما يقلل من اعتماد المواطنين على مؤسسات الدولة.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org